

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[544] الْآيَتَانِ يَأَيُّهُمَا الذِّكْرَيْنِ آمَنُوا لَا يَسْخَرُونَ قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللُّغَابِ بِذُكُورٍ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُوبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (11) يَأَيُّهُمَا الذِّكْرَيْنِ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (12) سبب النزول ذكر المفسرون لهاتين الآيتين شأنًا "في نزولهما" بل شؤونًا مختلفة، منها أن جملة (لا يسخر قوم من قوم) نزلت في "ثابت بن قيس" خطيب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي كان ثقیل السمع وكان حين يدخل المسجد يجلس إلى جنب النبي ويؤفر له المكان عنده لیسع حديث النبي، وذات مرة دخل المسجد والمسلمون كانوا قد فرغوا من صلاتهم وجلسوا في أماكنهم، فكان يشق الجمع ويقول: تفسحوا، تفسحوا حتى وصل إلى رجل من المسلمين فقال له: اجلس (مكانك هنا) فجلس خلفه مغمضًا حتى انكشفت العُتمة فقال ثابت لذلك الرجل: من أنت فقال: أنا فلان فقال له: ثابت ابن فلانة؟! وذكر اسم أمم بما يكره من لقبها.. وكانت تعرف به في زمان الجاهلية فاستحى ذلك الرجل وطأطأ برأسه إلى الأرض، فنزلت الآية ونهت المسلمين عن مثل هذا العمل.. وقيل إن جملة (ولا نساء من نساء) نزلت في أمم سلمة إحدى أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لأنها كانت تلبس لبوسًا خاصًا أو لأنها كانت قصيرة فكانت النساء يسخرن منها، فنزلت الآية ونهت عن مثل هذه الأعمال!. وقالوا إن جملة (ولا يغتب بعضكم بعضًا) نزلت في نفرين من الصحابة اغتابا صاحبهما "سلمان" لأنها كانا قد بعثاهما نحو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ليأتيهما بطعام منه، فأرسل النبي سلمان نحو "أسامة بن زيد" الذي كان مسؤول بيت المال فقال أسامة ليس عندي شيء الآن.. فاغتابا أسامة وقالوا إنهم بخيل وقالوا في شأن سلمان: لو كنّا أرسلناه إلى بئر سمحة لغاض ماؤها "وكانت بئرًا غزيرة الماء" ثم انطلقا ليأتيا أسامة وليتجسسا عليه، فقال لهما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إنني أرى آثار أكل اللحم على أفواهكما: فقالا يا رسول الله لم نأكل اللحم هذا اليوم فقال رسول الله: أجل تأكلون لحم سلمان وأسامة. فنزلت الآية ونهت المسلمين عن الإغتياب(1). * * *

1 — راجع تفسير مجمع البيان، ج9،

١٣٥، والقرطبي في تفسيره، إذ ذكر هذا الشأن مع شيء من التفاوت.